رسالة القاهرة

رحيل الباحث المصري محمد عمارة

توفي الباحث المصري، محمد عمارة، الجمعة، عن عمر ناهز 89 عاما، بعد رحلة قصيرة مع المرض.وشيّع جثمانه السبت في محافظة كفر الشيخ بمشاركة المئات من رجال الأزهر وعدد كبير من محبيه. وأفرد مغردون وسما باسمه، عددوا من خلاله خصاله ودعوا للترحم عليه رأيين أنه ادى دورا لافتاً للانتباه في إحياء أعمال مدرسة التجديد الإسلامي التي أسسها رفاعة الطهطاوي وطورها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وغيرها من الأسماء.ويرى محبوه أنه نجح في الحفاظ على حياده، ما جعله مرجعا للكثير من الباحثين، ممن وجدوا فيه (العقل المستنير القادر على تقديم مشروع حضاري عربي إسلامي كبديل لفكرة التغريب) حسب تعبيرهم.كما نوهوا بإسهاماته في إثراء المكتبات الإسلامية بعشرات الكتب التي نجحت برأيهم في إحياء الفكر المعتزلي القائم على تقديم العقل على النقل. وكان الأزهر قد نشر بيانا عبر فيه عن حزنه وآلمه لرحيل عمارة.وبدوره نعى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين عمارة ووصفه بـ (الحارس اليقظ المرابط على ثغور الإسلام) .

كما يلقبه تلامذته بـ (البلدوزر) وبـ (كاسحة ألغام الفكر الإسلامي) في إشارة إلى استماته في الدفاع عن النصوص الدينية أمام مفكرين آخرين أمثال نوال السعداوي.مقابل ذلك الاحتفاء، انتقد كتاب ومدونون آخرون عمارة وأفكاره ونعتوها بـ (الغلو). وفند بعضهم ما يردده أنصار عمارة عن (اعتداله) قائلين إن آراءه خدمت (الرجعية والأصولية بل وحتى الطائفية ضد المسيحيين والشيعة) .كذلك يعيب عليه منتقدوه ابتعاده عن (العقلانية) بتقديمه تنازلات لصالح المدرسة السلفية التي شنت عليه حملة بسبب مناصرته لفكرة تقديم العقل على النقل.في حين ينتقد مفكرون أمثال عمار بن حمودة (نزعة محمد عمارة التمجيدية للفكر المعتزلي)، قائلين إنه (اكتفى في البحث بما يميزهم ليسقط بذلك في دائرة التقديس المطلق). واستذكر مغردون مواقف عمارة من فرج فودة ونصر حامد أبو زيد اللذين عرفا بكتاباتهما في الفكر الإسلامي ومعارضتهما لسلطة النص المطلقة.ويقول كثيرون إن أفكار عمارة والشيخ محمد الغزالي كانت سببا في تأليب الناس على فودة ما أدى إلى مقتله على يد متطرفين .

الروايات والأنبياء

آدم وحواء

نعيم عبد مهلهل
دوسلدورف

(1)

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)

صدق الله العظيم

أول رواية تؤرخ للخليقة وكانت خارج النطاق الأرضي هو اللحظة التي تم فيها الاعلان عن خلق آدم وحواء ، فنشعر بثقة تلك الرؤية أن الرواية ترتهن بخلق ولا ترتهن بولادة ، فكان ما يروى أن هذا الخلق كان مكانه الفردوس وتم من خلال الرؤى السرمدية وفيه مشاهد خلابة عن جمالية المكان وتصاحب تلك الدهشة التي تم تخيلها لاحقا كشكل ومكان سرمدي من خلال نصوص كتبها أولئك الذين تناسلوا من هذا الخلق لاحقا .

تحذير واحد رافق تلك المباهج الحسية والجمالية والاوصاف المسكونة بدهشة الروي الذي يتحدث عن الايام الممتعة التي كان آدم يقضيها مع بعله حواء ، وهذا التحذير يطلب منهما عدم الاقتراب من شجرة التفاح وقطف ثمارها.

ومتى خضعت حواء لإغواء (الافعى ـ الشيطان) تحولت مسارات سرد يومياتها في نهارات الفردوس ولياليه الى مكان آخر لم يعد فيه هاجس الخلق موجودا ، إذ اتت الولادة كبديل عنه ذلك عندما ولدا قابيل وهابيل ، ومنذ لحظة ولادتهما كتبت تواريخا جديدة للسرد منذ لحظة شجارها وقتل الاخ لأخيه والى اليوم ، وما قبل تلك اللحظة تخيلته انا في رواية صدرت قبل عامين بعنوان (آدم ـ حواء .الوردتان تهبطان بمظلة) وفيها اوثق افتراضا بساطة يوم الزوجين في الحقل واحلام تكوين الذرية على الارض .

ليشكل هذا اليوم صورة الحكي الذي رافق الحياة ومراحله التأريخية وتطور ادوات التعبير عنه شفاها ومن ثم تدوينا ، حيث اصبح الخلق من موازاة الرغبة لنيل الخلود بعد نهاية العمر فيما الولادات هي الواقع المعاش اصلا والذي مهد لتأسيس السرد وصانعيه.

لكن الكثير يعتقد أن ما ينتجه الروائي يعد خلقا جديدا لحكاية تمتلك الحدث الحياتي ومتغيراته كلها ، ولكنه كما ارى لا يخلق إنما هو يصنع . والصناعة هي مرتبة ما دون الخلق وتحتاج ايضا الى التجربة والحرفة والاختراع والالهام والموهبة ، وتختلف عن الخلق أن الخلق يقوم على مبدأ (كن فيكون) فيما الصنع يحتاج الى مراحله النشأة والفاصلة الزمنية والمعايشة والاجتهاد ، وغالبا من تكون البداية من الصفر .

ايعاز غيبي

فالخلق أيعاز غيبي وخارق من اجل تكوين كتلة تتحرك بفعل وبدون كما في تحويل الصلصال والنار الى جسد ، فيما الصناعة هي تجميع وتحوير وافكار وتكوين مواد أولية تنتج لنا ما يساعدنا على تسهيل حياتنا وجعلها اكثر سهولة من سابقاتها كما حدث في تحولات العصر الصناعي في القرون الثلاث التي سبقت القرن الواحد والعشرين.

وهكذا نكتشف أن الخليقة التي هيأت للولادات هي من اوجدت لنا اساسيات سرد ما يحدث في هذا العالم من خلال مدونة تتحدث عن الذي جرى ويجري وما سيجري ذلك لأن الرواية وحدها بين المذاهب الادبية تستطيع ان تعيش المستويات الزمنية الثلاثة في التعبير عن حالة حياتية ما ، وقد يفعلها الشعر او الفلسفة لكن قوالب النظم والاشتراطات الصعبة في الفلسفة قد يعجزان عن تأدية الدور الذي تؤديه الرواية في ان تكون الماضي والحاضر والمستقبل عبر كل تلك التحولات الارضية التي شهدت عصورا حياتية وفسلجية وسلوكية وحضارية مختلفة . ابتدأت الرواية كردة فعل مثل اي جنس ادبي اخر دوافعه حاجة حياتية أو غامضة سكنت الذاكرة البشرية في تعاملها الأول مه البيئة ومتغيراتها وبما يتوفر لها من امكانيات اول بضاعته كان الخيال والتصور والحس وربما تم التعبير عنه شفاهيا او تصويرا ذلك قبل ان تخترع اللغة وتتم صناعة الحرف ومن ثم نشوء التدوين ، وعير تلك الاخيلة كان التعبير يسكنه هاجسا واحدا ، هو رغبة الانسان للوصول الى الما فوق ، وأن كان يدرك انه حفيد لمن كان في العلا ذات يوم ، فهو في هاجسه السردي هذا اراد ان يصل الى هناك ، ولأنه لا يمتلك تدوينا موثقا للاب الاول اشرك في تعداد القوى التي خلقته ،فبدلا من الاله الواحد تعددت الالهة ،وهذا التعدد هو من طور المادة السردية للإنسان لينوع حكاياته بتنوع مصادرها وحاجتها للوصول اليها او طلب مساعدتها لشعورها ان كل الذي ما فوق هو مصدر للفعل الخارق الذي يؤثر بحياته كما في المطر والريح والعاصفة والطوفان.

وهكذا كان السرد نتاج ولادة رحمية ثم تحولت الى ولادات ذهنية ، ارتبطت اولا بهاجس الخلق عبر تدوين قصة الخليقة ومن ثم انتقلت الى سرد الولادة لتبدأ بحكاية جلجامش وما سبقها من افتراض ان جلجامش ولد من نصف بشري والنصف الاخر الهي.

عند آدم وحواء ابتدأ السرد ، واتضحت مساراته لاحقا وربما بعد عصور ليست ببعيدة ذلك عندما نكتشف في الادب المقارن ان سلالة الانبياء القريبة من ادم كانت موجودة في عهد التدوين كما مع ابراهيم ع الذي ولد في اور او كما مع اوبنشتم الذي يعتقد انه نوح في قصة الطوفان .

وربما تلك الآية الكريم ((وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) توصلنا الى غرض ما نتمنى الخوض فيه عن علاقة السرد بحياة الانبياء وابتدأنا بآدم لأنه الأول بالرغم من قلة المصادر واغلبها يخضع لمدونات الكتب السماوية او الاساطير أو ما افترضه أنا ككاتب من حقي أن اقول وأن أوجه إن كنت مخطأ او صائبا.

(2)

آدم في ميثولوجيا الروايات وروحانيات الجنوب وأزمنته

نزل آدم وزوجته حواء تحت ظل سدرة خضراء قرب مكان يلتقي فيه نهرا ميزوبوتاميا (دجلة والفرات) في مدينة القرنة جنوب العراق .

وفي أديم النص السماوي والأسطوري والحكائي الشعبي لقصة النزول تنتشر الرؤية في خيال البشر ، ومنها يأخذ البشر العبر والرسامون الصور .

وتبقى قصة التفاحة من بعض اسباب هذا النزول. لهذا حين نوى أحد المعلمين على تكملة نصف دينه وجلب صندوق تفاح إلى المعلمين والتلاميذ ليوزعه عليهم لمناسبة خطوبته ، وجدتها مناسبة لأزرع في ذهن التلاميذ البدايات الروحية والقصصية لقصة نزول أبي البشر آدم وفي مكان قد لا يبعد سوى اربعين ميلا عن قرية ام شعثة حيث تقع مدرستنا.

برحمته وبصفاء دمعته الحزينة شاهدت ملامح آدم لأول مرة في عيون أطفال الأهوار ، وثمة سعادة مشتركة بين الاثنين ، ولأنني لا أعلم إن كان الأطفال في قريتنا قد سُمح لهم في مناسبة ما أن يقضموا التفاح الأحمر بتلك السعادة واللذة التي اراها في عيونهم عندما قلت لهم :

وانتم تأكلون التفاحة استمعوا الى حكايتها.

فجأة انبرى (مسعد) أذكى التلاميذ فطنة وسألني والتفاحة تملأ فمه :

أستاذ لا توجد امرأة في قريتنا اسمها حواء ولا يوجد فيها رجل إسمه آدم ، وعندما اتزوج مثل معلم القراءة الذي نأكل تفاحة عرسه اليوم وانجب اولادا ، البنت سأطلق عليها اسم حواء والولد آدم.

وحتماً بعد هذه السنوات الطويلة ربما كانت قصة النزول قد منحت أولئك الصغار في شبابهم شيئا ، فهناك من استعان بدمعة النبي يوم أمرهُ الرب بالنزول الى الارض ومغادرة الجنة ، لكي تشفع له وتحميه من شظايا الحرب ، وهناك من استمع الى نصيحة (مسعد) الذي انتحر في يوم ما وغادر الحياة دون أن يتسنى له ان يسمي من يخلّفهم بأسمى ادم وحواء وربما غيره فعل ذلك .

غير أن تلك التفاحة الحمراء التي كنت اشاهدها تذوب سعادة في افواه التلاميذ الذين لا يرون ويتذوقون الفواكه إلا في المناسبات البعيدة بقيت تعيش في مخيلتي وتعيد اليّ ذكريات انشداد التلاميذ لتلك القصص والروايات التي كنت أريد بها ان اعبر معهم الى العالم الاخر بعيدا عن غابات القصب والماء وقطعان الجواميس وهي تنسل من لذة الماء لتعود لتشخر الليل كله في زرائبها بعد حلبها.

فسيفساء ملونة

تعيش كلما تصادفني رواية نزول النبي على الارض مرسومة بفسيفساء ملونة في سقف كنيسة أو لوحة في متحف أو تحت اجفان امرأة تحمل اسم حواء حتى لو كانت من بلد افريقي إسمه مالاوي .

النبي بقيَ دالة لنزول الذكريات على رأسي ، وكل قصيدة او اغنية تحمل شيئا من حكايته توراتية كانت أو اسلامية ، أعود مسرعا بمشاحيف الذكريات واتمنى أن اقف أمام البشر الواقفين على رصيف محطة قطار دوسلدورف ينتظرون معي وصول القطار الذاهب الى بروكسل ، وأعيد قص الحكاية ذاتها التي كنت ارويها لتلاميذ مدرستي.

وذات يوم عدت لأزور القرية لمجرد استذكار الامكنة واصحابها لأرى ان اغلب الكبار غادروا الحياة والتلاميذ كبروا وانجبوا ، والمفاجأة السعيدة التي اعادت اليّ تلك اللحظات الجميلة يوم كنت أقف امام تلامذتي وأنا اروي لهم قصة نزول آدم وحواء اني رأيت ولديّ مكسيم ابن طيب الذكر شغاتي ، البنت اسمها حواء والولد يحمل اسم آدم. أول رحلة فضائية هبوطا من السماء الى الأرض كان ركاب الرحلة اثنين فقط . ذكرٌ إسمه آدم ، وأنثى تدعى حواء . هبطا بمظلة او جنح طائر أو بمساعدة ملاك ، لا أعرف ؟

ولكنهما الآن تحت ظل شجرة سدر قريباً من ضفاف نهرين يلتقيان في مكان جنوب أور بحوالي مئة ميل .

اليوم السبت .

لماذا السبت . لكني أشعر أن لحظة النزول كانت في هذا اليوم وبعد الظهر .

أظنّ أن السبت هو سبات الاشياء ، ولأن الطريق طويلة فإن الهابطيْن الأولين اخذا غفوة مارسا فيها السبات الى اليوم الثاني ، فشعرا انهما لم يزلا متعبين فأعطا يومهما الثاني (الاحد) عطلة ، وفي اليوم الثالث (الاثنين) هو إشارة البدء بالنسبة لهما معنى ان يبدأ بالحياة العملية ، فكان التفكير الأول ان ظل السدرة التي هبطا تحتها لا تقيهما من حرارة ظهيرة المكان وشعرا ايضا ان ندى الصباح الهاطل من ورق الشجرة يبللهما ، فكان التفكير الاول لآدم ان يجد ما يسترهما من شعاع الشمس ، فكان بدء حاجة الجسد بعد المجامعة هي الثوب والسقف. وهكذا بدأت الحياة من حاجة ، وتطورت الحاجة الى الحاجات ، واحتاجت الحاجات للتنوع وتغير امكنتها وتتسع ، وتصبح تضاريس وجغرافيات ، أسسها هابيل بعد موت قابيل ـ وطورها ابناء هابيل بعد موت ابيهم وجديهم .

هنا في القرنة اتسع المكان ، انتشرت صرائف القصب مثلما ينتشر النخيل على الطين البارد ، أولا قرب ضفاف الانهر والسواقي ومن ثم ذهب جنوباً الى حيث يتحد النهران ويكونا نهرا واحدا ويصبان في البحر العميق. في تلك الامكنة ولد الظل ليصبح ظلالا كثيرا وتحته كانت تقام الشعائر وتتلى الصلوات وتتبادل قبلات الغرام . وتحتها يستريح الجد من لهاث تعب اليوم وهو يشاهد بسعادة ان البساتين تذهب الى الابعد والصرائف تتجمع مع بعضها في إلفه العيش وتصير قرى .

ولهذا فضّل ان يكون بلده الأول وما حوله قرى من القصب فقط .لم يرد لها لتتسع ، وعندما شاهد واحدا من احفاده يبني حائطا من الطين والحجر ، رفسه بقدمه وهدمه وقال :ما دام آدم حيا ، ابقوا على القصب سقفا لأحلام ليلكم . أما الطين فهو بركة لمسح الجباه فقط .

لم يعرف آدم حساب الأعمار لأنه كان يعيش اليوم بحساب رغبته لتأسيس ما يقيه البرد والحر ويصلح بين نزاعات خلفها شجار قابيل وهابيل . يعيش يوماً ليوم آخر يعرف أنه سيأتي بعد اغفاءة ليل . لم يجدول غده ، ولم يضع تصورا لما سيفعله ، لأنه كان يمتلك شعورا غامضا ، إنه هبط بقدر وما سيجيئ بقدر . وكل انشغالاته هو الاعتناء بمستعمرته الصغيرة التي عاش فيها مع بعض من احفاده رفضوا ان يغادروها ويبقوا بصحبة جدهم الكهل وجدتهم العجوز التي جعلت من بيت القصب ومطبخها الصغير سلوى تنسيها السهو الذي جعلها تطيع ابليس وتقضم من التفاحة لتهبط عقابا وغاية ورغبة بإنشاء كوكب للأحياء الذين هم خارج جغرافية الجنة اسمه الأرض. ولم تغادر هذا البيت إلا عندما تذهب هي وبعلها ليقضوا ساعة من الراحة والاستذكار لما كان فوقاً ولم يعد موجودا ، ويتمددا بحميمية ليتلاصقا ظلهما تحت شجرة السدر حيث لا يشاهدهما الغرباء ، ومن يمر وينظر اليهما من الابناء والاحفاد يقول :هذا هو المنظر الجميل ، لنتعلم منه في خلوتنا ، ويقال ان تلك المشاهد الرقيقة هي من صنعت في قلوب البشر الاحساس بالغرام والعشق.

عبد الوهّاب الملوّح: الكتابة هي محو البياض وبياض المحو

الترجمة إمتطاء خيول غير مروّضة

خالد ديريك
سويسرا

منذ الصغر، حازت السينما على مكانة عالية من بين اهتماماته إضافة إلى نشأته في بيئة دينية صوفية تقوم على الإنشاد الديني، شكلا معًا (البيئة الصوفية والسينما) اللبنة الأولى لتكوينه الأدبي، هنا كانت نقطة الانطلاق لشق طريقه نحو عالم أوسع وأصعب الذي لا ينجو منه إلا من عرف قيمة القلم والكلمة وتسلح بأدوات وعدة وعتاد معرفية ثرية تمكنه من توظيفها في خدمة رؤيته وغايته الأدبي الأسمى، وينطبق هذا على ضيفنا الذي يشعر بروح المسؤولية باتجاه الكتابة ويراها مشروعًا ضخمًا لا يمكن التهاون معها، وكانت نتيجة عدة مؤلفات قيمة في الشعر والرواية والنقد والترجمة والمسرح منها تسع مجموعات شعرية ، أربع مؤلفات في الترجمة، وروايتين، وكتاب في الدراسات، إضافة إلى عدة مسرحيات.

يؤمن بمبدأ الكتابة وإعادة الكتابة والمحو. لا ير نفسه إنسانًا عصريًا بل بدائيًا في أصوله! والتجنيس الأدبي عنده فعل مضر للكاتب بحيث يدخله إلى صراع مع الذات عبد الوهّاب الملوّح شاعر ومترجم روائي، من مواليد قفصة بالجنوب التونسي سنة 1961

نص الحوار ....

عن عبد الوهّاب الملوّح الإنسان يقول:

لعلني من آخر سلالات الإنسان النياندرتالي؛ هذا الذي لم يتخل عن أصوله الأولى في جوهرها الحيواني وفي نفس الوقت عمل على تطوير ذاته بحكم اختلاف مكوناته كإنسان، بقدر ما طورت الحضارات أفسدته الإنسان وأجهز على كل مقوماته كـ ابن للأرض التي يعمل الآن على تدميرها... لا اعتقد إنني إنسان العصر الحديث، ما زلت بدائيًا في أصولي.

نشأ في بيئة دينية وعشقَ السينما فكانت بداية التكوين الأدبي لديه:

لقد تضافرت عوامل عدة لتشكيل هذه النشأة لعل أهمها البيئة التي تربيت وترعرعت فيها حيث أن باكر صباي كان في حضن جدي الذي كان صاحب طريقة صوفية تقوم على الإنشاد الديني، لقد تأثرت بتلك الفترة عميقًا ومن هناك تسلل إلي حب القراءة والتوغل في عالم التخييل إضافة إلى عوامل أخرى منها إني في صباي كنت مواظبًا على مشاهدة السينما فمن حظي أنه كانت هناك قاعة للعروض السينمائية جنب بيتنا وكنت أنظف القاعة في الصباح مقبل حضور العروض السينمائية في المساء.

تختلف طقوس الكتابة عنده فهو الذي يرى في الكتابة فعل مسؤول ومشروع ضخم، لذا،

لا أؤمن إيمانًا كليًا بالكتابة التي تهبط على صاحبها منزلة كالوحي؛ فالكتابة لحظة فالتة لا يمكن القبض عليها وكما إنني لا اكتب تحت الطلب ولا أقع فريسة ابتزاز الأحاسيس الجياشة والانفعالات الصاخبة والعواطف المتحمسة فإنني اكتب بعيدًا عن كل ما هو انفعالي، ذلك أن الكتابة في جوهرها فعل مسؤول وجاد وهي أيضًا مشروع ضخم قائم على التجريب الدائم والبحث في أسئلة الوجود والكينونة.

أشار إلى مهام الكاتب الجاد بالقول:

مهام الكاتب الجاد الإنصات لصخب الداخل بما هي ترسبات لمكوناته الثقافية وتشكيلات رؤيته حول العالم في علاقتها بتحولات الواقع انطلاقًا من بيئته المحلية ولتحقيق هذا الفعل، على الكاتب أن يمتلك معجمه اللغوي الخاص وتكون لديه أدواته وعُدّته التعبيرية الخاصة بما يمكنه أن يمتلك أسلوبه المتفرد وهذا لن يحدث إلا بالكتابة وإعادة الكتابة والمحو لعل الكتابة في جوهرها هي ذلك المحو الذي بعد أن نحرف بياض الورقة بالكلمات يعود بنا إلى الجوهر الأساسي الذي هو البياض، أليست الكتابة هي محو البياض وبياض المحو!

لا يعترف بالأجناس الأدبية، والكتابة عنده كل لا يتجزأ ويسهب في الشرح، قائلًا:

ذات يوم أصدرت فرجينيا وولف كتابًا بعنوان الأمواج واحتار النقاد في تصنيفه وفرجينيا وولف نفسها قالت عن كتاب يولسيوس لجيمس جويس أي نوع من الكتب هذه؟ وهو ما يمكن أن نقوله عن المواقف والخطابات للنفري أو عن رسالة لغفران للمعري أو عن كتاب المؤانسات للتوحيدي. إذًا؛ عبارة الأجناس الأدبية هي بالأساس مصطلح أكاديمي إجرائي وكذلك نظرية الأجناس الأدبية تمت صياغتها في المخابر الجامعية البعيدة عن هوس الكتاب وفوضاهم الإبداعية، والاستعمال الحديث لهذا المصطلح هو لتسهيل الدرس الأدبي لطلاب الجامعات ليس إلا.

يتابع: لقد دأب النقاد اليوم في معرض حديثهم عن الرواية على قول عبارات من قبيل "رواية تتوفر على ذرى شعرية" أو "رواية شعرية" أو يقولون عن قصيدة ما "قصيدة بها كل أدوات العدة السردية " أو "تسريد الشعر" وكل هذا يؤكد أن الكتابة كل لا يتجزأ. ففي الأصل الإغريقي كان هناك تصنيف لا يقوم على الشكل وإنما على التأثير في المتلقي التراجيديا، الكوميديا وليس انطلاقا من هذا أو تلك رواية، لقد أضر هذا التصنيف الإجرائي بالكتابة عمومًا وأدخل الكاتب في صراع مع ذاته رغم أن الكتابة في حقيقتها كما قال الفقيد إدوارد خراط عابرة للأجناس.

تجنس مؤلفاته

أما سبب تجنيس مؤلفاته:

فيما يخص كتاباتي فهي بحكم ضغوط الناشر الذي بدوره يخضع لضغوط السوق وقد عانيت في ذلك كثيرًا مع ناشر روايتي "كبابيل الآخرة".

عن مشروع الرواية ومدى التأثر بشخوصها، كرر عدم اعترافه بالتصنيف الأدبي، ولكن:

الرواية هي نفسها مشروع كتابي، كتاباتي لا تتصنف، غير أنها أحيانًا تفيض لتأخذ مسارات أبعد من أن تكون مكثفة دلاليًا مقتصدة لغويًا، متقشفة في المجالات التي تطرقها فتنفتح وتحتاج إلى المزيد من العناية وفق مسار الرؤيا التي انطلقت منها وتفلت من يدي حتى أنها تخلق شخوصها وحدها، لا يتعلق الأمر هنا بمسرح عرائس أو بمخرج سينمائي يعمل كاستينغ للشخصيات رغم أني أذكر أن المخرج الفرنسي غودار غير طاقم تمثيل فيلم كامل لأنه لم يكن مستوعب تمامًا لروح فكرة الفيلم، الكتابة لا تبدأ عندي بنية مسبقة وتخطيط استباقي وفق نظرية الأجناس بل تبدأ من لحظة أنها قابلة للمحو.

يؤكد أن لا مجال للمقارنة بين كتابات المسرحية وكتابات القصة، ولكن، يمكن تحويل رواية وقصيدة إلى عروض مسرحية:

علينا أن نفرق هنا بين النص الأدبي المؤهل ليتم تمثيله على خشبة المسرح وبين الدراماتورجيا، المسرحيات التي تم تقديمها على الخشبة باعتبار أني صاحب النص الأول لها هي في الأصل كانت كتابات أدبية طاغ غلب عليها الحوار وطبعًا لا تعدم أي كتابة من حوار بين الشخصيات لكن ليتم تحويلها إلى الخشبة فهذي تصبح دراماتورجيا بما يعني تدخل الكتابة السينوغرافية والكتابة الديكورية وكتابة إدارة الممثل والكتابة الاكسسوارية وهذي من اختصاصات مخرج العمل، قلة من استطاعوا التمكن من كل هذه التقنيات من مثل شكسبير وبرتولت برخت وانا مونشكين وسعد الله ونوس والطيب الصديقي، لا مجال للمقارنة إطلاقًا بين كتابة القصة والكتابة للمسرح لكن هذا يتوقف على قدرة المخرج على الدراماتورجيا، ويجدر هنا الإشارة إلى أنه تم تحويل بعض الروايات إلى عروض مسرحية مثل موسم الهجرة إلى الشمال كما تم تحويل قصائد نثرية إلى عروض مسرحية وهو ما حدث مع قصائد للشاعر اللبناني عباس بيضون.

الترجمة من الفرنسية....

يشدد أن من الخطأ النظر للترجمة بعين الشخصانية للكاتب الأول وإنما يجب النظر إلى المنفعة لصالح العام:

فعل الترجمة هو إيواء الغريب للغريب، وهو فعل تثاقف وتفاعل بين ثقافات وحضارات بما في ذلك عادات وطبائع ولأن الكتابة في جوهرها هي هذا التفاعل بين داخل الذات والخارج كل هذا الخارج كما في تشكلاته ولا يجب النظر للترجمة من جهة براغماتية شخصانية، لم لا نتحدث عن استفادة شعوب كاملة من الترجمة مثلما حدث للعرب حين شرعوا في ترجمة أعمال الفرس مثل ألف ليلة وليلة، كليلة ودمنة، الشاهنامة...إلخ. ثم اندفعوا لترجمة الفلسفة اليونانية وقامت النهضة العربية الأولى خلال العصور العباسية وهو نفس ما حدث في العصر الأندلسي؛ من الخطأ النظر للترجمة من جهة استفادة الكاتب الأول بقدر ما أن الترجمة هي امتطاء خيول غير مروضة والركض بها في أراض وعرة لإيصال رسالة، والمترجم الجيد من يصل بالرسالة سالمة.

الكتابة والتأليف

في الكتابة والتأليف، لا يهمه المواضيع بحد ذاتها بقدر أهمية طرق وكيفية عرضها على الخطوط البيضاء:

ما يهمني في كتاباتي ليس ما أقوله ولكن كيف أقول، قال الجاحظ المعاني مطروحة في الطريق والكاتب الجيد هو الذي يبتكر أسلوبًا مغايرًا في حديقة عن الحب أو الحرب أو البحر ، وقديمًا قال عنترة هل غادر الشعراء من متردم وقال قبله زهير بن أبي سلمى ما أرانا نقول إلا كلاما مكرورا وبالتالي لا تعنيني المواضيع فالمهم هو كيفية طرق المواضيع المألوفة، أتطرق أحيانًا لتلك المواضيع المتروكة المهمشة التي قد لا تعني أحدًا وهي تلك التفاصيل الصغيرة... جورب مثقوب معلق على حبل غسيل، قطعة جبن على طاولة منسية، دمعة متحجرة على خد جحش.

ما يظهر حاليًا في الساحة الأدبية لا علاقة له بالنقد، والنقد الحقيقي لن تقبل به المؤسسات العربية:

ليس هناك حركة نقدية توازي التراكم الإبداعي النقدي العربي، هناك مجرد تفاعلات انطباعية حول ما يكتب هنا وهناك وأغلبها ذات طابع صداقاتي حميمي لا علاقة لها إطلاقا بالنقد اذا كنا نتحدث عن النقد باعتباره عملية تحليل للنص من الداخل وتحاور معه لاستكشاف مواطن الإبداع فيه والتبشير أو العكس الوقوف على ما فيه من نقائص للأسف نحن العرب ليس لنا نظرية أدبية متكاملة رغم ما زخر به التراث الأدبي العربي من ترسانات نقدية بالغة الأهمية مازالت تعتبر مرجعيات مهمة في الأدب العالمي من ابن طبا طبا وابن رشيق وابن حزم القرطاجني وغيرهم فباستثناء قلة قليلة حاولت التأسيس لمدرسة نقدية عربية لكن تم القضاء عليها في بداياتها. النقد تحرير للعقل ودفع له ليكون متحررًا وهذا ما لن تقبل به المؤسسة عند العرب.

ظل الجسد في الثقافة الإسلامية مدنسًا والأدب جعله مقدسًا....

تطرق الأدب العربي والغربي إلى الجسد هو للتأريخ واستكشاف الذات وليس بهدف إغراء وشهوانية:

هذا شكل آخر من أشكال تصنيف الأدب وحبسه في خانة مخصوصة من قبيل الأدب النسوي، الأدب الزنجي، الأدب السجني، الأدب الجسدي، هذه التصنيفات فضيحة النقاد الجدد، الأدب لا يُجزأ، هل يمكن أن تخلو كتابة من الحديث عن عضو من الجسد وهل يمكن أن تخلو كتابة من إغراء جسدي، هناك كتابات تبالغ في ذلك واعتقد أنها تذهب نحو استكشاف تلك المنطقة المسكوت عنها في داخلنا، لقد زخر الأدب العربي القديم شعرًا وخبرًا وحديثًا بالتطرق للجسد باعتباره منطقة إغرائية شهوانية ولم يكن المقصود منها جلب القارئ بقدر ما كانت تأريخا لما يحدث فعلًا بل وهناك كتب ذات بعد أنطولوجي في هذا الغرض من مثل الإيضاح في علم النكاح وغيره كما زخر الأدب الغربي بمثل هذه المواضيع الموتيفات ويكفي فقط قراءة أعمال الماركيز دو ساد أو رواية عاشق الليدي شاتلي أو علاقات خطرة وكل هذي الروايات وأن تطرقت للجسد لم تكن تبغى إغراء القارئ بل الذهاب نحو استكشاف الذات من خلال الجسد. لقد ظل الجسد في الثقافة الإسلامية مدنسًا والأدب جعله مقدسًا.

تأثر ببدر شاكر السياب، ومعجب بالآخرين: لا يكاد ينجو كاتب من تأثير كاتب آخر عليه بل وأؤكد أن أغلب الشعراء العرب في العصر الحديث خرجوا من كم بدر شاكر السياب وأنا منهم وهو ما لا يعني إنني وقعت تحت سطوة الشعراء الملاعين بودلير، رامبو، فرلين وطريقة تمردهم على السائد في الكتابة وأرى انهم مازالوا إلى الآن يتصدرون المشهد.

تنخر المحسوبية والعلاقات المعرفية في جسد الملتقيات الثقافية بدلا من تكريم الأدب كقيمة فكرية وجمالية:

للأسف سادت العلاقات الإخوانية والصداقاتية حتى تحولت إلى علاقات طاغية في هذا المضمار حيث صارت الملتقيات مآدب وولائم ووكالات أسفار للأحباب والمقربين وتم استبعاد الفاعلين الحقيقين فإذا كان الهدف من الملتقيات الأدبية هي البحث عن الإضافة الأدبية والجمالية فهي في الحقيقة صارت للقاء أحبة وعشاق افتراضيين والأنكى من ذلك يتم بمباركة رسمية من الجهات المسؤولة وهو الشأن حتى في معارض الكتاب.

وضع الأدب والثقافة في تونس:

تونس دائمًا منتعشة ثقافيًا ودائمًا هناك حراك ثقافي جاد فيها لكن ليس بالأساس ما يظهر على منصات التواصل الاجتماعي بل وبالعكس ممكن ما يظهر على سوشيال ميديا هو الأردأ فهناك حركة نشر كثيفة وهناك إصدارات أدبية مهمة جدًا كما هناك توجه نحو البحث الجمالي الجاد وهو ما لا تظهره وسائل الإعلام ولا منصات التواصل الاجتماعي.

أهم مؤلفات الشاعر والمترجم والروائي عبد الوهّاب الملوّح في الشعر والرواية والدراسات الأدبية والترجمة والمسرح

أصدر في الشعر: 1. رقاع العزلة الأخيرة، تونس سنة 2 .1993. الواقف وحده، تونس 3 .1997. سعادة مشبوهة، تونس 4 .2000. أنا هكذا دائما، تونس .2002 5. الغائب، تونس 6 .2002. الليل دائما وحده، بيروت 6 .2010. Nul ne vient a sin heure2015فرنسا. 7. راقص الباليه، تونس 8 .2011. كتاب العصيان، تونس 9 .2013. كتدبير احتياطي، 2019

صدر له في الرواية: ـ "منذ" .2008. "كبابيل الآخرة" 2018

صدر له في الترجمة: 1. رسائل فرناندو بيسوا إلى حبيبته، 2000فلسطين. 2. بورتريه سوزان، 2015مصر. 3. يوميات الحداد (مذكرات) للكاتب رولان بارت، 2018تونس. 4. على مرتفعات اليأس لـ إميل سيوران، 2020السعودية

صدر له في الدراسات: ـ "فخاخ الدهشة" 2016تونس، وهو يتضمن دراسات ومقالات تبحث في خصائص قصيدة النثر العربية. كتب عدة مسرحيات تم إخراجها منها سوس، انتلجنسيا، غرائب...

عبد الوهاب الملوح